

الملاحظات

في هذا اللوح، وهو من الألواح التي أنزلها حضرة بهاء الله في عكاء، يصف فيه ملامح مختلفة من الاتحاد. وهذا اللوح موجّه إلى السيد أسد الله، من أحياء مدينة رشت، إجابة عن سؤاله عن معنى الاتحاد. وكان أحد خمسة أشقاء لقبهم حضرة بهاء الله بـ"السادات الخمسة". كانوا جميعهم مؤمنين. وفي وقت ما كان أسد الله يعيش في مدينة قزوین، المدينة التي عرفت نشاطاً من قبل أتباع ميرزا يحيى استهدف تشويه صورة أمر حضرة بهاء الله. ونجح هؤلاء الناس في تسميم عقل أسد الله بحيث اضطرب إيمانه في عقيدته. إلا أن تلك الحالة لم تدم طويلاً. ذلك لأنه سرعان ما تمكن، بفضل صفاء قلبه وجهود مخلصه من قبل الشيخ كاظم سمندر، من إزالة تلفيقات الأزلين جميعها واستعادة إيمانه الثابت. بعدها سافر إلى عكاء للحج وتشرف بمحضر حضرة بهاء الله. هناك شاهد بأمر عينيه بهاء ربه وصار موضع عطاياه وأفضاله. كما حظي شقيقه الأصغر السيد نصر الله بالشرف العظيم في المثل في محضر حضرة بهاء الله في عكاء. وقد قدم هذان الشقيقان الباقيان من الخمسة خدمات عظيمة لأمر الله دامت حتى نهاية حياتهما.

في "لوح الاتحاد" يصف حضرة بهاء الله، بشيء من التفصيل، ميزات متعددة للاتحاد. فيصرح بأن الاتحاد في المقام الأول هو وحدة الدين، ويعني وجوب اتحاد

الناس في اتباع دين واحد هو الدين الذي أتى به حضرته في هذا اليوم. ويعلن بأنه حينما تعتنق الغالبية العظمى من الناس في بلدٍ ما أمره، فسيكون ممكناً بالنسبة للحكومة تنفيذ تعاليمه ووصاياه. كما يقرر بأن مثل هذا الاتحاد كان في السابق سبباً لنصرة دين الله.

وفي شرحه لمقام آخر من الاتحاد، هو التعبير عن الرأي، يقدم حضرة بهاءالله مثلاً لاثنتين من الأحياء قد يناقض كل منهما الآخر في موضوع ما. في مثل هذه الحالة سيصبحا سبباً لحرمان نفسيهما والآخرين الذين يسمعون حديثهما، من نعمة الاتحاد. ثم يبين حضرته كيف أن خطاباً عن أمر الله لو ألقى باعتدال فسوف يجذب الفضل الرباني، لكن إذا طبع بطابع التطرف فقد يؤدي إلى هلاك النفوس. ويضيف ناصحاً الأحياء بأن يبلغوا الناس باللطف والاعتدال حتى يكون لكلماتهم تأثير كتأثير الحليب في الرضيع. في العديد من ألواحه يكرر حضرة بهاءالله هذه النصيحة نفسها في تبليغ أمره. مثال على ذلك هو المقتبس التالي من "لوح الحكمة":

"قل إن البيان جوهر يطلب النفوذ والاعتدال. أمّا النفوذ معلق باللطافة واللطافة منوطة بالقلوب الفارغة الصافية. وأمّا الاعتدال امتزاجه بالحكمة التي نزلناها في الزبر والألواح. تفكر فيما نزل من سماء مشية ربك الفياض لتعرف ما أردناه في غياهب الآيات."

وقد حذر أتباعه بالألّا يرهقوا المستمع بالكثير من المعلومات في مراحل مبكرة، ويشبّه مثل هذا العمل بإعطاء وجبة كبيرة لطفل رضيع والتي، بدلاً من إعطائه الحياة، يمكن أن تقضي عليه.

ويضيف حضرة بهاء الله بأن وحدة الأعمال ينبغي أن تتبع وحدة الأقوال، فعندما ينفذ الأحباء تعاليمه ويزينون أنفسهم بالفضائل الإلهية، فإنهم سيصبحون متحدّين في أعمالهم. ويشجب حضرته الانقسامات التي حدثت في الدورات السابقة، ويردّ ذلك إلى الشقاق بين أتباعها، ويصرح بأن أساس دين الله في الأدوار السابقة قد تصدّع نتيجة لهذه الاختلافات.

جانب آخر من جوانب الاتحاد التي يستعرضها حضرة بهاء الله تخص مقامات المؤمنين. فوحدة مقامهم ستكون سبباً لإعلاء أمر الله بين الناس. ويعزي سبب خطورة وضع العالم إلى أن بعض الناس اعتبروا أنفسهم متفوقين على الآخرين، ويصرح بأنه ينبغي للأحباء الذين شربوا من بحر وحيه وتوجهوا بحق إلى أفقه الأعلى، أن يروا أنفسهم على صعيد ومستوى واحد، شاغلين مقاماً متساوياً ورتبة واحدة. ويتنبأ بأنه لو حدث هذا لأصبح عالم الإنسان جنة. كذلك يعلن حضرته وهو يلقي المزيد من الضوء على هذا الموضوع، بأنه ولو أن الإنسان مخلوق مجيد وهبّ صفات سماوية، لكن استعلاء نفس على الآخرين هو تجاوز خطير وخطأ فادح.

ولو يُعمل بهذا المبدأ من تعاليم حضرة بهاء الله، لخلق في كل قلب إحساس بالتواضع ونكران الذات، وإلا فسيطغى الفخر والصلف ويميل بالإنسان فيصبح أسير أنانيته وهواه. وليس له في هذا الحال من منقذ سوى المظهر الإلهي.

لذا فإن النفس، باعترافها بحضرة بهاء الله على أنه لسان وحي كلمة الله لهذا اليوم والعمل بإخلاص بما جاء به من وصايا وأحكام، تصبح طليقة متحررة من أغلال هواها وعلائقها المادية، حينئذ يكون باستطاعة الفرد فهم الهدف من الحياة، ومن ثم يمكنه بلوغ الاتحاد الحقيقي مع زملائه المؤمنين.

إن إحدى المواهب العظيمة لظهور حضرة بهاء الله هي إلغاؤه مؤسسة الكهنوت. وربما كان لهذه المؤسسة، رغم إساءة استعمالها إلى حد كبير، وكونها الآن غير فاعلة ومشلولة تقريباً، دور ضروري ومفيد في العصور الماضية حين كانت الغالبية العظمى من الناس من الأميين ولا بد لهم من رعاة يقودونهم، ولكنها اليوم غير ضرورية على الإطلاق. في "لوح الاتحاد" يصرح حضرة بهاء الله بأنه لو لم يعتبر الزعماء والعلماء الدينيون في إيران أنفسهم مخلوقات متفوقة، لما وقف أتباعهم ذلك الموقف المعارض المرير من أمره ودعوته. ويصف كبرياءهم وصلفهم بمثابة النار التي التهمت الأمة بأسرها.

لم يخلص أمر حضرة بهاء الله نفسه فقط من مؤسسة الكهنوت، التي تولد الفرقة والفساد، ولكن جوهره لا يؤوي شخصيات أنانية داخل مؤسساته المشرّعة إلهياً. والسمة المميزة لتلك المؤسسات هي العبودية لله، والتي تعني في الواقع خدمة بني الإنسان. فأولئك الذين يعملون في المؤسسات البهائية يمكنهم أن يلمسوا بالخبرة والتجربة معنى الوحدة في العمل لأنه لا يوجد مجال لأحد لتعزيز طموحاته الشخصية أو إظهار مواهب متفوقة داخل هذه المؤسسات. في الواقع، لو حاول عضو تمجيد نفسه فوق الآخرين، فسوف تتآكل فاعليته بنحو كبير. وحينما تختل الوحدة داخل مؤسسة من مؤسسات أمر الله بفعل موقف أناني من طرف أحد أعضائها، فإن عاقبة ذلك ستكون امتحانات وفتناً كبرى. وإذا حدث هذا فإن أعضاء تلك المؤسسة سيعانون من ضغوط كبيرة ومعاناة عظيمة وينتهي أمر ذلك المحفل، حسب بيان حضرة عبدالبهاء، إلى الخسران والانعدام.

يبين حضرة بهاء الله في "لوح الاتحاد" بأنه لو أراد المضي في تبيان مختلف مقامات التوحيد في كل الأشياء، لما انقطع قلمه عن صفحات الألواح لعدة سنوات. ولمّا كان ذلك غير عملي، فإنه يخلص إلى القول في ختام بيانه بوصف جانب آخر للاتحاد ألا وهو وحدة الشعوب. فيصرح بأن وحدة الشعوب يمكن بلوغها عن طريق محبة الله وتأثير كلمة الله. فمتى توجه الناس إلى الكلمة الإلهية وتمسكوا بها، فإنهم سيصبحون متحدين.

لقد حقق أتباع حضرة بهاء الله فعلاً اتحاد القلوب في جامعاتهم، إذ على الرغم من انتمائهم إلى خلفيات متنوعة وكثيرة ويتحدثون بلغات مختلفة، إلا أنهم مدفوعون برابطة حب قوية تشدهم روحياً ببعضهم البعض. وهذا الحب ليس مصطنعاً ولا هو نتيجة مواهب استثنائية يمتاز بها المؤمنون، بل إنها عطية تنزل، دونما جهد من جانب المؤمن سوى توجّبه لحضرة بهاء الله، من العلياء على قلوب المؤمنين. إنه الحب المتولد عن تأثير ظهور حضرة بهاء الله، وهو أشبه بسريان تيار الكهرباء في شبكة أسلاك واسعة، حيث تمتد طاقتها كل دائرة من الدوائر المرتبطة بها. إن مجرد الإيمان بأن حضرة بهاء الله هو حامل رسالة الله لهذا العصر كفيل بفتح أبواب الفضل والنعم، فيجد المؤمن نفسه قادراً على إخلاء قلبه من التعصبات الموروثة ويصبح بدوره مشعاً بمحبة الله. وهذا الحب بدوره يتجلى بين جماعة المؤمنين كأعظم مصدر للقوة في الجامعة البهائية، فيوحد قلوبهم على شأن يمكن المؤمن الحق أن يرى أثراً من محبة حضرة بهاء الله في وجوه المؤمنين الآخرين، وهكذا يمتنع تماماً عن الخوض بنقائص زميله. هناك ما لا يحصى من الفقرات في كتابات حضرة بهاء الله حول قوة الاتحاد والآثار الهدامة للفرقة والخلاف. في أحد ألواحه يصرح حضرته بأنه لو استطاع أعباء الله تحقيق الاتحاد في كل إقليم، لاستضاء كل العالم بنوره، وأنه يحزن لوجود خلاف بين المؤمنين في بعض النواحي، ويعلن بأن ذلك يجلب الذل والعار لأمر الله. ويزيد موضحاً في هذا اللوح بأنه لو قام كل أهل العالم ضد أمر الله فلن يضره ذلك في شيء، بل إن معارضتهم ستكون سبباً لإعلاء شأنه، لكن الذي يؤدي سمعة أمر الله هو

اختلاف أجباء الله فيما بينهم، وينتج عنه أيضاً عرقلة تقدمه وإلحاق عذاب وألم لا يمكن تصوره بمؤسسه.

في لوح آخريوصي حضرة بهاءالله أتباعه أن "يحترزوا من أي كلمة تكون سبب الاختلاف ولو يظهر من الذين طافوا العرش في العشي والإشراق". وفي لوح آخر يشبه الاختلاف بالنار الحارقة التي ينبغي إخمادها بماء الحكمة والبيان. في أحد ألواحه يصرح حضرة عبدالبهاء بأن من يكون سبباً في الاختلاف في أمر الله لن يرى السعادة في حياته.

فيما يتعلق بالاتحاد في الممتلكات الدنيوية، يصرح حضرة بهاءالله في "لوح الاتحاد" بأن هناك مقامين من الوحدة. أحدهما يختص بالكرم حينما لا يمنع المرء عن غيره من البشر ما رزقه الله به، فيهبهم شيئاً من ثرواته الدنيوية ويدعو حضرته هذه الخصلة بحالة "المساواة"، وهي حالة المرء الذي يعطي لغيره كما لنفسه. والمقام الآخر هو "المواساة"، والتي فيها يكون المرء مستعداً للتضحية باحتياجاته الخاصة من أجل الآخرين مفضلاً إياهم على نفسه. ويعتبر حضرة بهاءالله هذا الموقف من أعلى خصال الإنسان وأنبليها. ولكنه يشدد على أن الإيثار هذا، يخص فقط نواحي الممتلكات الدنيوية ولا ينطبق على أي شيء آخر.

في اللوح المعروف بـ"الكلمات الفردوسية" يعلن حضرة بهاءالله ما يمكن اعتباره أرقى بيان عن القاعدة الذهبية:

"يا ابن الإنسان لو تكون ناظراً إلى الفضل ضع ما ينفحك وخذ ما ينتفع به العباد وإن تكن ناظراً إلى العدل اختر لدونك ما تختاره لنفسك."

الاتحاد في المجتمع

إن الغاية الرئيسة من ظهور حضرة بهاءالله هي تأسيس الاتحاد بين شعوب العالم. فيفضل حضرته قائلاً: "إن نور الاتفاق ينير آفاق العالم ويضيئها." لكن اليوم صار المجتمع يعاني من آثار الخلاف والشقاق بدرجة أن كلاً من حضرة بهاءالله وحضرة عبدالبهاء صرح في أكثر من مناسبة بأنه إذا أصبح الدين علة الاختلاف والتنافر فمن الأفضل التخلي عنه. وعليه رفع حضرة بهاءالله نداء الوحدة والاتحاد في هذا اليوم، ولم تدع قوة كلمة الله الخلاقة أمام البشرية خياراً سوى تأسيس قاعدة سليمة لا تتزعزع لاتحاد جميع شعوب الأرض وقبائلها. إن الكلمات العاليات التالية من قلم حضرة بهاءالله أحدثت نقلة نوعية في توازن المجتمع البشري على نطاق عالمي:

"أيها الأحياء قد ارتفعت خيمة الاتحاد لا ينظر بعضكم إلى بعض كنظرة غريب إلى غريب. كلكم أثمار شجرة واحدة وأوراق غصن واحد."

في هذا اليوم هناك عدد كبير من بين شعوب العالم ينادون بالسلام، فالخوف من وقوع الدمار والفناء على نطاق واسع قد دفع الناس صوب فكرة السلام ومحو الحروب. وسعيًا وراء تحقيق هذا الحلم إلى حقيقة واقعة، هناك نشاط كبير في العديد من الأوساط والدوائر، بدءاً من إلقاء المحاضرات في الجمعيات، وإجراء المناقشات حول الشؤون المتعلقة بالموضوع، وتنظيم المظاهرات السلمية، والحملات الدعائية، ومسيرات الاحتجاج بل وحتى العنف واسع النطاق. لكن السلم لا يمكن أن يتأسس بهذه الأنشطة والوسائل، فهو ليس بهدف منعزل قائم بذاته، بل مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالسلوك البشري، ويعتمد على موقف الإنسان تجاه أخيه الإنسان. وما لم تكن هناك وحدة بين الناس فلا يمكن أن يكون هناك سلام. ولا يمكن أن تنتج الوحدة بشكل مصطنع عن طريق إتخاذ تدابير سطحية. وطالما تحاول البشرية تسوية شؤونها من خلال التنازل عن المبادئ، بدلاً من ابتغاء الحقيقة ومن ثم اتّباعها، فلن يكون هناك سبيل لتحقيق صفاء النية فيما بين أمم العالم. واليوم حيثما يحدث خلاف أو انقسام، فسوف تشمل المعاناة والمحن جميع المعنيين. وقد ذكر حضرة بهاء الله في كتاباته بوضوح أن الإنسانية لن تجد السلام والهدوء ما لم ترسخ وحدة شعوب العالم ودوله:

"لا يمكن إصلاح العالم وتحقيق راحة الأمم إلا بالاتحاد والاتفاق، ولن يتحققا ما لم يأخذ العالم بنصائح القلم الأعلى."

وفي لوح آخر أنزل حضرة بهاء الله هذه الكلمات السامية بخصوص الاتحاد:

"أيها الأحزاب المختلفة توجهوا إلى الاتحاد وأنيروا الآفاق بنوره. واجتمعوا في مقر معين لوجه الله وأزيلوا ما بينكم من أسباب الاختلاف حتى يفوز جميع العالم بأنوار النير الأعظم ويردون في مدينة واحدة ويجلسون على عرش واحد. لم يكن مقصود هذا المظلوم من أول أيامه إلى هذا الحين سوى ما ذكر ولن يكون له أي غاية أخرى، ولا شك أن جميع الأحزاب متوجهون إلى الأفق الأعلى وعاملون بأمر الحق، ولكن نظراً لمقتضيات العصر اختلفت الأوامر والأحكام ولكن كل من عند الله وجميعها نزلت من عنده سوى ما ظهر بسبب عناد بعض النفوس. قوموا بعضد الإيقان وكسروا أصنام الأوهام والاختلاف وتمسكوا بالاتحاد والاتفاق. هذه كلمة عليا نزلت من أم الكتاب يشهد بذلك لسان العظمة في مقامه الرفيع..."

إن الإقرار بوحدة العالم الإنساني لهو أهم المتطلبات الأساسية للسلام العالمي. ومع ذلك، فإن إنشاء وحدة على أي مستوى ستشكل بدورها ركناً من السلام في

المستوى نفسه. على سبيل المثال، إن تأسيس الوحدة السياسية بين جميع أمم العالم سوف يحقق سلماً سياسياً على نطاق عالمي، وهو ما يشار إليه في كتابات حضرة بهاء الله بـ"الصلح الأصغر". وفي المستقبل البعيد، عندما يكون عامة البشر قد اعترفوا بمقام حضرة بهاء الله بكونه الناطق بلسان الله على الأرض ومخلص البشرية جمعاء، ويكون فيض وحيه قد نفذ إلى قلوب الناس، وربط فيما بين شعوب الأرض وقبائلها عروة من الاتحاد الروحي، فإن الجنس البشري سيشهد تأسيس "الصلح الأكبر" الذي وعد به حضرة بهاء الله بكونه إحدى أنبل ثمرات ظهوره.

وينبغي أن لا يخلط بين وحدة الجنس البشري والتماثل، الذي يتعارض مع قوانين الخليقة الأساسية. تؤكد تعاليم حضرة بهاء الله على مبدأ الوحدة والاتحاد في التعدد والتنوع. في خلق الله هناك فقط واحد من كل شيء، أي لا يوجد اثنان متماثلان من الخلق نفسه. وأفضل وسيلة لتقييم السبب وراء هذا الإبداع والتفرد في الخلق هي دراسة الكتابات البهائية وملاحظة عالم الطبيعة. ونحن نفهم من كتابات حضرة بهاء الله وحضرة عبدالبهاء بأن كل كائن مخلوق، سواء كان في عالم الجماد أو النبات أو الحيوان، تظهر فيه بعض صفات الله، والاختلافات بين هذه الممالك هي نتيجة للدرجات المتفاوتة في ظهور هذه الصفات فيها. على سبيل المثال، هناك عدد أقل من صفات الله في مملكة الجماد مما في النبات، ويصح الشيء نفسه بالنسبة لما

بين النبات والحيوان. فكثير مما لدى الأخير من صفات لا تتوفر في الأول، أمّا الإنسان فأودعت فيه صفات الله جميعها.

إلا أن هناك بعض الصفات المشتركة التي تظهرها كل الموجودات لكن بدرجات متفاوتة من الشدة في كل من هذه الممالك. من بين هذه الصفات المحبة، والتي هي علة الخلق الأولى، وتظهر هذه في مملكة الجماد بهيئة قوة التماسك والجذب (بين الذرات والجزيئات المكونة لها). وفي النبات، إلى جانب قوة التماسك الموجودة أيضاً فيه، نجد أن مظهراً من مظاهر الحب يبلغ فيه بعداً أعلى - مما في الجماد- حينما تتفتح الشجرة وتنشر أغصانها وأفنانها باتجاه الشمس لاستلام أشعتها كما يمد الحبيب ذراعيه شوقاً لمحجوبه. في عالم الحيوان يتمثل هذا الحب ويظهر بنحو أكبر. مثال ذلك حب الأم لصغارها. وفي عالم الإنسان تُظهر صفات المحبة نفسها في أشد درجاتها.

صفة أخرى من صفات الله التي تظهر في كافة الخلائق هي اسم الله المتفرد الذي لا نظير له ولا قرين، وتتمثل هذه الصفة في كل كائن مخلوق، ولذا فإن كل شيء فريد من نوعه (في كيانه وشكله وخصائصه). فيما يلي كلمات حضرة بهاء الله في أحد ألواحه:

"وكذلك لاحظ في تجلي شمس اسم الله الأحد الذي يشرق على كل الأشياء ويظهر في كل منها آية توحيد الله، كلّ يدلّ على الحق وسلطنته وأحدثه وقدرته. وهذا التجلي هو رحمته التي سبقت كل شيء".

وكما إن ليس من شيئين متماثلين، كذلك ليست هناك مساواة مطلقة في العالم الإنساني، فكل إنسان هو خلق فريد من الله، والمساواة التي يتردد ذكرها في الكتابات المباركة إنما هي المساواة في الحقوق والامتيازات والّا فإن كل شخص يختلف عن كل إنسان آخر في مواهبه وقدراته وشخصيته وكل الفضائل الأخرى.

المساواة بين الرجل والمرأة

من تعاليم حضرة بهاء الله الأساسية مساواة الرجل والمرأة. ومنذ ابتداء تاريخ الإنسان المدون وحتى الماضي القريب امتاز الرجل بالسيطرة والتفوق على المرأة في كل ميدان تقريباً. خلال تلك الفترة كانت البشرية تمر بمراحل الطفولة والمراهقة، كما إن الظروف الاجتماعية كانت في وضع بحيث لم يكن ممكناً لمبدأ المساواة بين الرجل والمرأة أن يرد في الكتب المقدسة للأديان الماضية. على العكس من ذلك، فإن الرجل كان يعتبر نظرياً الجنس الأقوى بما وهب من قدرات فائقة تبرر هيمنته على

المرأة التي ينبغي خضوعها له. حتى إن نص القرآن الكريم يقرر ذلك بقوله العزيز:
"الرجال قوامون على النساء..."

لكن حضرة بهاء الله، ولأول مرة في تاريخ الأديان، أعلن بحزم مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة. وكما هو حال غيره من التعاليم النازلة من القلم الأعلى، فإن هذا المبدأ بالذات قد أطلق قوى روحية هائلة لا يمكن مقاومتها، وأحدثت ثورة في المجتمع الإنساني في هذا الصدد. وبالتالي، هناك حركة من أجل تحقيق هذه المساواة في هذه الأيام في كل مكان في العالم. في كثير من ألواحه يشير حضرة بهاء الله لهذا الموضوع مؤكداً بجلاء على المساواة بين الجنسين.

"تعالى تعالى من رفع الفرق ووضع الاتفاق. تباهى تباهى من أخذ الاختلاف وحكم بالاثبات والائتلاف. لله الحمد أن القلم الأعلى رفع الفرق ما بين العباد والإمام ووهب الكل بعنايته الكاملة ورحمته المنبسطة مقام العطاء على حد سواء. قد قصم ظهر الظنون بسيف البيان ومحا أخطار الأوهام بقدرته الغالبة القوية."

وفي لوح آخر يصرح:

"في هذا اليوم رفعت يد العناية الفرق بين الناس ويُشاهد العباد والإمام في صقع واحد. طوبى لعبد فاز بما أمره الله وطوبى لورقة حركتها أرياح الإرادة الإلهية. إن

العناية عظيمة والمقام كبير. إن فضله وعطاءه في كل حين ظاهرين باهرين من يقدر
أن يشكره على عطايه المتواترة وعناياته المتواليه؟"

إن كلمة "الورقة" تسمية يشير بها حضرة بهاء الله للمرأة المؤمنة.

أنزل حضرة بهاء الله هذه الكلمات في وقت كان العالم الإسلامي، الذي ظهر
حضرته في وسطه، يعتبر بصورة طبيعية أن المرأة مخلوق أدنى منزلة. كانت هناك
بعض مدارس الفكر من بين رجال الدين المسلمين والتي تستخدم لإجراء مناقشات
بشأن ما إذا كان للمرأة روح أم لا! لقد استندت القوانين داخل المجتمع الإسلامي
على أساس تعدد الزوجات. حيث بإمكان الرجل قانوناً التزوج بأربعة نساء وأي عدد
من الخليلات. أما المرأة فلم يكن لها الخيار في من تتزوج، وكانت في الغالب جاهلة
أمية، وعموماً لم يسمح لها بدور في الشؤون العامة. وعليه كانت في أغلب الأحوال
رهينة منزل والدها قبل زواجها، ومنزل زوجها بعد ذلك، أي كانت في الواقع أشبه
بقطعة من الأثاث.

وكان العرف في ذلك الوقت يقضي للشباب الراغب في الزواج أن تقوم قريباته
الأناث، كأمه أو أخته، باختيار شريكة حياته المقبلة. ولم يكن يسمح له حتى بالنظر
إلى وجه عروسه، والتي تتوارى خلف حجاب غليظ، إلا بعد إنتهاء مراسم الزواج. في

نظام اجتماعي كهذا لم يكن ميسوراً للمرأة أن تعلم شيئاً عما يحدث في العالم من حولها، وعدد قليل جداً من الآباء وقروا لبناتهم التربية والتعليم، وحتى في هذه الأحوال لم تكن أمامهن فرصة للاستفادة من مواهبهن في الأماكن العامة.

من الأنشطة العامة القليلة التي كان يسمح فيها بمشاركة النساء في المجتمع الإسلامي الشيعي، ما يعرف بـ"روضة خاني" في ذكرى استشهاد الإمام الحسين. في هذه المناسبات كن يجلسن في زاوية منعزلة وحينما يشرع الراوي، وهو عادة أحد رجال الدين، بسرد وقائع الاستشهاد بانفعال وحماس عظيمين، وهو بذلك يدفع بجمهور الحاضرين لأقصى حدود العواطف والأسى، عندئذ تبدأ النساء بالعويل بحيث يطغى صريخهن ونواجهن على صوت المتكلم تماماً ويهز مشاعر أهالي الحي كله بصراخهن الجنوني!

وسط مجتمع كهذا أعلن حضرة بهاءالله، قبل أزيد من مائة سنة، منح حقوق متساوية للرجال والنساء. تأكيداً لهذا وجه حضرته عدداً من الألواح بحق بعض أتباعه من النساء، شاملاً إياهن بفيض عطائه وفضله، ممتدحاً أعمالهن ومطمئناً إياهن بما يريد الله لهن من المساواة بالرجال في هذا اليوم، وحاصراً إياهن على نشر أمر الله وتبليغه بين بنات جنسهن بالحكمة، وناصحاً إياهن بعيش حياتهن وفق تعاليمه. والكلمات التالية لحضرة بهاءالله مقتبسة من أحد ألواحه إلى امرأة بهائية:

"لعمري إن أسماء الإماء القانتات مرقومة ومسطورة في الصحيفة الحمراء من القلم الأعلى . وهنّ يسبقن الرجال عند الله فكم من الأبطال وفوارس المضممار محرومون من الحق وليس لهم نصيب من عرفانه بينما فزت أنت ورزقت به ."

هناك ألواح لا حصر لها منزلة من قلم حضرة بهاء الله في حق بهائيات . فيما يلي مقتبس لإحداها :

"هو الشاهد من أفق سماء العلم . يا أمتي يا ورقتي قد شهد لك القلم الأعلى بإقبالك وحبك وتوجهك إلى وجه القدم إذ أعرض عنه العالم إلا من شاء الله العليّ العظيم . طوبى لك بما تزيّنت بطراز محبة الله وفزت بذكره وثنائه . إن الفضل كله في قبضة قدرة الحق جل جلاله يعطيه لمن يشاء بإرادته . كم من الرجال اعتبروا أنفسهم أصحاب الأسرار والعلماء الأعلام وعند هبوب أرق نسيم من الامتحان قاموا على الإعراض والاعتراض على شأن شغل أهل الملاء الأعلى بالنواح والندبة . وإنك بالفضل الإلهي والعناية اللامتناهية فزت بعرفان السر المكنون والكنز المخزون . فاحفظي هذا المقام العظيم باسم الحق جل جلاله واستريه عن عيون الخائنين . البهاء المشرق من أفق ملكوتي عليك وعلى كل أمة فازت بأنوار عرشي العظيم ."

في هذا الصدد أفاض حضرة عبدالبهاء أيضاً، سواء في ألواحه العديدة أو خلال محادثاته، واعتبر مساواة الرجل والمرأة من المتطلبات الأساسية لإقامة مجتمع متوازن وصحي، وتحتوي كتاباته على إشارات لا تحصى إلى هذا الموضوع. فيما يلي جزء من أحد ألواحه مثلاً على ذلك:

"ومن جملة تعاليم حضرة بهاء الله وحدة النساء والرجال لأن العالم الإنساني بمثابة طير بجناحين أحدهما الرجال والثاني النساء. وما لم يتساو الجناحان لا يتمكن الطائر من الطيران وإذا كان أحد الجناحين ضعيفاً فالطيران محال. وما لم يتساو عالم النساء مع عالم الرجال في تحصيل الفضائل والكمالات فإن تحقيق الفلاح والنجاح كما ينبغي ممتنع ومحال."

إن أحد جوانب المساواة بين الجنسين هو في الحقوق والامتيازات. لكن تماثل وظائفهما -وهو ما يسعى إليه الكثير من الناس اليوم- ليس ممكناً دائماً. في حين أن الرجال والنساء يمكنهم القيام بوظائف معينة بنحو متساوٍ من الأداء، ولكن هناك بعض الأعمال تتفوق فيها المرأة على الرجل وفي أعمال أخرى يكون الرجل أكثر كفاءة واستعداداً لها، بينما هناك نواحٍ أخرى يستحيل فيها على أحد الجنسين أخذ دور الآخر.

وأهم جانب من جوانب المساواة، والذي فات عن انتباه العديد من علماء الاجتماع المعاصرين، ممن يروجون مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة، هو المساواة في عالم الروح. فالمساواة بين الجنسين، التي أعلنتها حضرة بهاء الله بشكل قاطع، تنبع أصلاً من فعل الخلق نفسه. فعلى الرغم من أن الله خلق الرجل والمرأة مختلفين في بعض النواحي الجسمانية، إلا أنهما متساويان روحياً. فليس هناك فرق بين روح رجل وروح امرأة. فكلاهما يمتلكان الصفات الإلهية نفسها والقدرات والمواهب نفسها. يبين حضرة عبدالبهاء في أحد ألواحه:

"ثم اعلمي يا أمة الله أن النساء عند البهاء حكمن حكم الرجال فالكل خلق لله خلقهم على صورته ومثاله أي مظاهر أسمائه وصفاته فلا فرق بينهم وبينهن من حيث الروحانيات الأقرب فهو الأقرب سواء كان رجلاً أو نساءً وكم من امرأة منجذبة فاقت الرجال في ظل البهاء وسبقت مشاهير الآفاق."

لما كانت الروح هي الحقيقة العليا في الكائن البشري، وتفوق هيكله الفاني بدرجة كبيرة، وهي أقدس أمانة من عند الله في كل شخص، إذاً يتبين أن السبب الأساسي والأجدي لمساواة الرجال بالنساء يرجع إلى حقيقة مساواة كيانهما الروحي. وهذا الجانب الأهم من جوانب المساواة غالباً ما يتم تجاهله، بالطريقة نفسها وللسبب نفسه، الذي تهمل البشرية موضوع الروح بصفة عامة.

"كتاب ظهور حضرة بهاء الله، أديب طاهرزاده، المجلد ٤"